اسم المصدر: الحياة الطبعة السعودية

التاريـــخ: 21-12-2009 رقم العـدد: 17062 رقم الصفحة: 13 مسلسـل: 88 رقم القصاصة: 1

وداع عام الجروح النازفة؟!

عرفان نظام الدين *

■ مرة أخرى يبكي العرب على أطلال قضاياهم ويتحسرون على الأوضاع التي وصلوا إليها وهم يودعون عاماً آخر من الضياع والخلافات والتشرذم والانقسام وإثارة الفتن والتلهي بالصغائر ونبش الأحقاد والبحث عن مازق جديد لينضم الى مآزقهم الكثيرة والمتعددة الوجوه والماسي والآلام.

عام آخر يمضي ونردد مع إخوان لنا: كاننا يا بدر لا رحنا ولا جينا... أو أن نقول مرة جديدة إن العرب عادوا بخفي حنين من رحلتهم الى عالم الأزمات والمشاكل والعقد.

عام آخر من الجروح النازفة التي تنهش الجسد العربي، بل أن جروحه فاقت سابقاتها قسوة وعمقاً وتأثيراً بسبب خناجر ذوي القربى قبل الغرباء والأجانب والأعداء حتى صح فينا القول: كلما داويت جرحاً فتح جرح أو بالأحرى جروح.

وهذا هو العنوان الرئيسي للعام المنصرم ٢٠٠٩ والوضع يقرأ من عنوانه الذي يلخص كل أحداثه وهمومه وشؤونه وشجونه وأحداثه الدامية المتلاحقة، والعودة إليه لا تهدف الى ذر الملح على الجراح، ولا لجلد الذات والندب على الأوضاع بل لدق ناقوس الخطر ووضع الإصبع على مواطن العلل وتوصيف الواقع والدعوة الى الحذر واليقظة والمسارعة الى تصحيح الخلل وإصلاح الأضرار والبحث عن وسائل العلاج وطريق الشفاء وأشكال الدواء الناجح.

فالمشهد العربي اليوم، مع وداع عام واستقبال عام جديد، لا يبشر بالخير إذا استمر النهج على حاله وأصر من بيدهم الحل والربط على التمادي في الغي واللامبالاة والتشبه بالنعامة في دفن الرؤوس في الرمال ورفض التحرك لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ليس على الصعيد السياسي والأمني بل على مختلف الأصعدة ولا سيما الاقتصادية والمالية والاجتماعية منها بسبب الأوضاع المزرية التي وصلت إليها الشعوب ومعاناتها من البطالة والفساد والجوع والمرض.

الجرح الأكبر والأكثر إيلاماً ما زال ينزف أكثر من ٦٠ عاماً، وأصبح أكثر مضاضة بفعل إخوة الدم والسلاح هو جرح فلسطين، فقد شهد العام المنصرم أحداثاً مؤسفة أدمت القلوب ودفعتنا الى حافة اليأس لمشاهد جنونية لا يصدقها العقل كأنه لم يكفنا ظلم العدو الغاشم واعتداءاته الإجرامية على الفلسطينيين والمذابح الوحشية التي ارتكبها ضد أهلنا في غزة فجاءت الخلافات بين أبناء الشعب الواحد لتزيد الطين بلة وتضاعف مآسي الشعب المنكوب وتبعد القضية الفلسطينية عن طريق السلام والعدل لتضعها في أتون المؤامرة الصهيونية الكبرى التي لم تكن لتنجح وتتقدم لولا مشاركة الأدوات الفلسطينية عن علم أو بغير علم.. وعن جهل أو عن تواطؤ.

أحداث كثيرة شهدتها القضية خلال عام الجراح النازفة، من وصول الليكود المتطرف بزعامة بنيامين نتانياهو وعتاة المتطرفين العنصريين الصهاينة الى الحكم وتحركهم السريع لبناء المستعمرات الاستيطانية وخطط تهويد القدس الشريف وتهديد أسس وبنيان المسجد الأقصى المبارك ورفض جهود السلام وتحدي الولايات المتحدة التي لبست ثوباً جديداً بتولي الرئيس الجديد باراك اوباما لمسؤولياته فخيبت آماله بتحقيق تقدم ما ولو خطوة واحدة باتجاه السلام... ثم خيب آمال العرب بعدم تصديه لإسرائيل والتقاعس عن رد التحدي والضغط عليها لحملها على الرضوخ لنداء السلام وتلبية مطالب الرأي العام العالمي والكف عن تعريض المصالح الأميركية والدولية للخطر. وكم كان حرياً بأصحاب القضية أن يتنبهوا للخطر الصهيوني المتجدد والكامن وراء مطامع اليمين المتطرف الذي كشر عن أنيابه وفضح مكنونات العقل الإسرائيلي الجهنمي والشرير بلا خجل ولا استحياء. وبدلاً من ذلك تمادى إخوة المصير الواحد في نشر غسيلهم الوسخ وتعميق خلافاتهم ورفضهم للمبادرات المتجددة لتحقيق المصالحة الوطنية الفلسطينية ليكرسوا بذلك تقسيم الوطن المقسم والمفتت، وتهديد المصير المهدد أصلاً من قبل العدو، ومضاعفة مآساة الشعب الفلسطيني وتعميق جراحه بلا شفقة ولا رحمة ولا حد أدنى من الوطنية والإنسانية وبلا ذرة من ضمير.

وفيما يئن الشعب الفلسطيني في مخيمات البؤس والعار وفي ديار الشتات بسبب تدهور أحواله المعيشية والإنسانية، ويرزح أهل الضفة الغربية تحت نير احتلال غاشم، ويتعذب أهلنا في غزة من الظلم والجور ونتائج العدوان الغاشم ويعيش معظمهم تحت خط الفقر بلا سقف يحميهم من برد ومطر أو حر شمس محرقة، وفيما يتهدد مصير أكثر من مليون فلسطيني من عرب الداخل بعد صمود بطولي

اسم المصدر: الحياة الطبعة السعودية

التاريـــخ: 21-12-2009 رقم العـدد: 17062 رقم الصفحة: 13 مسلسـل: 88 رقم القصاصة: 2

دام أكثر من ٦٠ عاماً، نجد القيادات الفلسطينية تتلهى بالصغائـر وتبادل الاتهامات وتتمسـك قيادة «حماس» بموقفها المتعنت وتصدق الكذبة الكبـرى بأنها تمسـك بزمام حكومـة متهاوية ومحاصرة ومحكومة بالعهر الصهيوني.

ولـم يتوقـف الأمر على فلسـطين فـي عام الجـراح النازفة، فقد سـالت الدمـاء الزكية في الديـار العربية والإسـلامية لتقـض مضاجعنا وتدمـي قلوبنا. وكان آخر جـرح فتح خلاله في اليمن «السـعيد»!! وكانت معه المأساة الجديدة التي انضمت الى المآسـي الممتدة من المحيط الى الخليج.

والمؤسـف ان الحرب التي اسـتمرت طوال هذه الفترة لم تجد من يمد اليد لوقفها ومعالجة أسـبابها والتصـدي للتدخـل الخارجـي الذي اتهمت إيران بالضلوع فيه لتحريض ما يسـمى «بالحوثييـن» على سـلطات وطنهم ومواطنيهم بدلاً من حل مشـاكلهم بالحسنى والحصول على مطالبهم بالحوار والوسائل السلمية.

والأنكى مـن كل ذلك أن «المؤامـرة» المبيتة امتدت الـى المملكة العربية السـعودية عندما تعـدى الحوثيون على سـيادتها وتسـللوا الى أراضيهـا وخزنوا السـلاح واسـتفزوا حرس حدودهـا لجرها الى الحرب، وهي التي لم ترغب يومـاً في التورط لأنها كانت علـى الدوام داعية سـلام ومحبة ووفاق وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية، كما كانت المبادرة دوماً الى المصالحة والمصارحة والحوار في سـبيل حل الخلافات والسـباقة الى كظـم الغيظ وعدم الرد على الإساءة.

وقد عبر الأمير خالد بن سلطان بن عبدالعزيز مسـاعد وزير الدفاع والطيران السـعودي خير تعبير عن الواقع عندمـا أكد أن المواجهة بدأت بتسـلل المتمردين الذين خانوا وطنهم وخانوا إخوانهـم الـى حدود السـعودية واسـتهدفوا عدداً من منسـوبي سـلاح الحدود مما أدى الى استشـهاد وجرح عـدد من الجنـود، وان خادم الحرمين الشـريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز أبدى تألمه واسـتياءه لما حدث لأن آخر شـيء تريـده بلاده هو القيام بمثل هـذا في أي مكان، لكن التعدي على السـيادة لا تقبله أية دولة حرة فصدرت الأوامر الواضحة والصارمة بالرد ذوداً عن حياض الوطن بأسـلوب مشرف للحفاظ على الأمن والحفاظ على أرواح المدنيين.

هـذا الجرح الجديد شـهدنا جروحـاً أخرى مماثلـة له علـى امتـداد العام المنصـرم. ففي العراق كان المشـهد مأسوياً وجنونياً على رغم انسحاب القوات الأميركية من المدن واستعدادها للانسحاب الكامل بدءاً من العام المقبل. فقد دفع آلاف المواطنين الأبريـاء وبينهم مئات الأطفال والنسـاء ثمن جنون التفجيرات العشوائية في نوبات إجرامية تدعي زوراً أنها تمثل «المقاومة» على رغم أن القاصـي والداني يعرف تماماً أنها لم تسـتهدف سـوى أبناء الشـعب الأبي الأعزل من السـلاح ولم تتعـرض في مجملهـا للقوات الأجنبية التي أجمع المراقبون على أنها شهدت أهدأ الأعوام منذ بداية الاحتلال ولم تتكبد سوى خسـائر قليلة في الأرواح والعتاد خلال عمليات روتينيـة وليـس نتيجـة لعمليـات ما يسـمى بالمقاومة.

أما الجرح النازف الآخر في أفغانستان فحدث عنـه ولا حرج وهو مرشـح للالتهـاب وإحداث مضاعفـات خطيرة تمتـد الى العالـم كله. فيما جروح أخرى ما زالت تنزف في السودان الذي لا يخرج من محنة إلا ويدخل في محنة أكبر وأشـد إيلاماً، من دارفور ومذابحها الى الجنوب المهدد دائماً بالانفصال عن الوطن الأم.

أما لبنان فقد انتقل من مرحلة الجراح النازفة الى رحلة صعبة تبـدأ بكفكفة الدموع ومعالجة الجراح الى محاولة الخروج من المأزق الصعب بعـد انتخابات مهمة حققت فوزاً نسـبياً لحركة ١٤ آذار، ومخاض عسير قبل ولادة حكومة وفاق وطني وخطـوات عملية لرأب الصـدع وتطبيع العلاقـات مع سـورية وطـي صفحـة الماضي فيما يضـع اللبنانيون، ومعهـم العرب، أيديهم على قلوبهم خوفاً من أن تفشـل الجهود وتعود التهديـدات الـى سـابق عهدها وتفتـح جروح جديدة يصعب التنبؤ بشفائها هذه المرة.

والمضحـك المبكي، وشـر البلية ما يضحك، ان العرب لم يكتفوا بمآسيهم وجراحهم النازفة، والمؤامرات الموجهة ضدهـم، فعمدوا الى فتح جراح مخزيـة عبر كرة القدم، فـكان ما كان بين مصر والجزائر والباقـي مقرف... ومعروف. هذا هـو الموجز ولا حاجة لتفاصيل أكثر في نشـرة أخبار الجـروح النازفة فالأحداث جسـام وكلها بـؤس وآلام... والتعديـات متوالية مـن الإخوة والأعداء اللئام، وبكل أسف نقول أن هذا ما نردده كل عام.. ومع هذا، وعلى رغم مرارة الأيام نتفاءل بغـد أفضل... ونـردد معكم كل عـام وأنتم بخير لعلنا نحقق الأحلام!!

---

* كاتب عربي